﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [المعارج: 36 - 39]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

شتان بين صفات (المصلّين) أهلِ الإيمان، والكافرين المكذّبين ذوي العِصيان

بعد أن ساق النَّظم الكريم في الآيات السّابقة صفاتِ المُؤمنين المصلّين، وأشادَ بها كثيرًا، وأثنى عليهم طويلًا، وختَم ذلك بالوعد الكريم لَهُم بأنَّهم ﴿فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾؛ رجَع هنا إلى الحديث عن الكافرينَ، الّذين بدأ السّورة الكريمة بذِكْرِ سُؤالِهم ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾، وعَدَّد من صفاتهم الإدبارَ والتَّولّيَ، والجَمْعَ والإيعاءَ، والهَلَعَ والجَزَعَ والمَنْعَ، فنَعى عليهم هُنا إهْطاعَهُم قِبَل رسولِه صلّى الله عيه وسلّم، ونَفى إمكان نَيْلِهم الجنّةَ، وعجّب من دعواهم دخولَها قبل المُسْلِمين وهُم على كُفرهم مصرّون، وذكّرهم بأصل منبَتِهم الّذي لا يؤهِّل لدُخولِها إلّا إذا تحلَّى الإنسانُ بالإيمانِ، وعَمِلَ بالطّاعات، فقال ﷻ: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ إلى آخر الآيات الكريمة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قِبَلَكَ﴾: (قبل) تدورُ اشتقاقاتُها على مواجهةِ شيءٍ لآخَرَ[1]، ولفظُ (قَبْلُ) يُسْتَعْمَل في التّقدّم المتّصل والمُنْفَصِل، وهو ضدُّ (بعْدُ)، وذهب بعضُ أهل اللُّغة إلى أنَّهُما يُستعملان في التّقدّم المتّصل. هذا في الأصل، وقد يتقارضانِ. والإقْبالُ: التّوجّه نحو القُبُلِ، كالاسْتِقْبالِ، قال الله تعالى: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ﴾ [الصّافّات: 50]، والتَّقَبُّلُ: قَبولُ الشَّيء على وجهٍ يقتضي ثوابًا، كالهديّة ونحوِها، كما قال سُبحانَهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف: 16].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قبل).

والمُقابَلَةُ والتَّقابُلُ: أن يُقْبِلَ بعضُهم على بعض، إمّا بالذّات، وإمّا بالعِناية والمودّة، قال الله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦﴾ [الواقعة: 16]، وتقول العربُ: لي قِبَلَ فلانٍ كذا؛ كقولك: عنده. وقال سبحانَهُ: ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ﴾ [الحاقّة: 9]. وقول اللهِ ﷻ: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾، أي: نَحْوكَ[1].

2) ﴿مُهۡطِعِينَ﴾: (هطع) تدلُّ تصريفاتُها على إقبالٍ على الشَّيء وانْقيادٍ لَهُ. يقال: هَطَعَ الرَّجلُ على الشَّيء ببصره؛ أي: أقْبَلَ. وأهطع البعيرُ: صوَّب عُنُقَهُ مُنْقادًا. وأهطع: أسرع[2]، وبَعيرٌ مُهْطِع: في عُنُقِه تَصويبٌ خِلْقَةً؛ أي: حَدَبٌ في انحدارٍ، وهو خلاف التَّصعيد، وطريق هَيْطَعٌ؛ أي: واسِعٌ، وهَطَع وأهْطَع: أقبَلَ مُسْرِعًا خائفًا، ولا يكون ذلك إلّا مع خوفٍ، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٣ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾ [إبراهيم: 42 - 43] أي: مسرعين، كما قال الشّاعر[3]:

تَعَبَّدَني نِمْر بن سَعْد وقد أُرَى *** ونمرُ بن سَعْد لي مُطيع ومُهْطِع[4]

وقال ابن الأثير: الإهْطاعُ: الإسْراعُ في العَدْوِ. وأهْطَعَ؛ إذا مَدَّ عُنُقَه وصَوّبَ رأسَه[5].

فمعنى ﴿مُهۡطِعِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾: مادّين أعناقَهُم، مصوِّبين أبصارَهُم، مُسْرِعينَ نَحْوَك.

3) ﴿عِزِينَ﴾: (عزى) تدور اشتقاقاتُها على الانتسابِ والانتماءِ والاتِّصالِ[6]، تقول: عَزَوْتُهُ إلى أبيه؛ إذا نسبتَهُ إليه، فاعْتَزى هو وتَعَزَّى؛ أي: انتمى وانتسب. والاسم العزاءُ. وفي الحديثِ الشَّريفِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "مَنْ تَعَزَّى بِعَزاءِ الجاهِليَّةِ فَأعِضُّوهُ بِهَنِ أبيهِ ولا تُكَنّوا"[7] يعنى: بِنَسَبِ الجاهليَّة. والعِزَةُ: الفِرْقَةُ من النّاس، والجمع: عِزًى، وعِزونَ وعُزون، قال الشّاعِرُ[8]:

(1) جلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، ص: 766.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هطع).
(3) البيت بلا نسبة في أساس البلاغة للزمخشري: (هطع)، وكذا في لسان العرب لابن منظور: (هطع).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (هطع).
(5) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: 5/ 266.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (هطع).
(7) رواه النّسائي في السنن الكبرى، برقم: (8813).
(8) البيت بلا نسبةٍ في الصحاح للجوهري: (عزا)، وكذا في لسان العرب لابن منظور: (عزو).

فلمّا أن أتَيْنَ على أضاخٍ *** ضَرَحْنَ حَصاهُ أشتاتًا عزينا

أي: جماعات في تَفْرِقَة[1]. وهذا هو معنى ﴿عِزِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

4) ﴿أَيَطْمَعُ﴾: (طمع) تدلُّ اشتقاقاتُها على رجاءٍ قَويٍّ في القَلْبِ للشَّيء[2]، ومِنْهُ الطَّمعُ؛ وهو محاولة الإطْباقِ على الشَّيء وضَمِّه مع تهيُّؤٍ يُقَوّي الرّجاء في ذلك. ومن هذا التَّهيُّؤ: شدَّةُ شهوةِ النَّفس لِضَمِّ الشَّيء؛ لأنَّها تُهَيِّج وتُهَيِّئ تَيَسُّر ذلكَ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ [المدثر: 15]، والتَّهَيُّؤ هنا هو كثرة ما عندَهُ قَبْلًا مِمّا قرّب له تيَسُّر الزّيادة.

ولينُ القولِ تهيئَةٌ تُطْمِعُ، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: 32]. وأمّا قول اللهِ تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؛ فالتَّهيُّؤ هو أنَّهم مكذِّبون بالبَعْثِ والجنَّة والنّار أصلًا، ويَحْتَقِرونَ المُؤْمِنين فيقولون: إنْ كانَ هؤلاء سيدخلون الجنَّة؛ لَنَدْخُلَنَّها قبلهم، فبنَوْا طمعَهُم على أوْهامِهِم[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

دخـولُ الجنَّة مـتـوقِّـف على الإيـمـانِ وعَـمَلِ الطّاعات

ما بال هؤلاء الكافرين؟ وما شأنُهم؟ و"أيُّ دافعٍ دفَعَ هؤُلاءِ الكافرين إلى أن يَسيروا نحوَك مُسْرِعين، مادّي أعناقِهم إليك، مُقْبِلين بأبصارهم عليك؛ يُحَلِّقون عن يمينك وشمالك حِلَقًا متعدَّدة، يكوِّنون فِرَقًا شتّى، كلُّ فِرْقَةٍ تَعْتَزي وتَنْتَسِب إلى غير مَن تَعْتَزي له الأخرى.

فَيُنْكِرُ الله تعالى على المشركين الَّذين كانوا في عهد النَّبيِّ ﷺ وهُم مُشاهِدون لهُ، ولمّا أرسلَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الهُدى، وأيَّده به مِنَ

(1) الجوهري، الصحاح: (عزا).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طمع).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (طمع).

المُعْجِزات الباهرةِ، ثُمَّ هم مع هذا كلِّه مُعْرِضون عنه، مبالِغون في تلمُّس ما يتَّخذونه هُزءًا به، وسُخرية منه حينما يرونَهُ يُصَلّي عندَ الكعبَةِ ويقرأُ القرآن قائلين: إنْ دخل هؤُلاءِ الجنَّة – كما يقول محمَّد – فلَنَدْخُلَنَّها قبلَهم، وقد ردَّ عليهم سبحانه، فأبطل زَعْمَهُم[1]، ورَدَعَهُم عن تطلُّعهم إلى دخول الجنَّة بقوله: ﴿كَلَّآ﴾؛ "لا يَطمع كلُّ امرئٍ مِنْهُم بعِبادَتِهم الأصنام والأوثان أن يَدْخُلوا جنَّة نعيم؛ إذْ هُم مُنْكِرون للبَعْثِ والجنَّة والنّار، ثُمّ مع هذا يَنْصُرون الأصنامَ ويَعْبُدونَها، ويَخْضَعونَ لَها، وإنْ كانَ لا طمَعَ لَهُم في نَصْرِها إلى شَيْءٍ في العاقبة، ولا يرجون منها العواقبَ"[2].

ثُمَّ ذكَّرهم بأصل نَبْتَتِهم، فَأوْمأ إلى هوانِهم على اللّهِ تعالى، ويُسْرِ إهلاكِهم، وما كان كذلك فما أيسر إعادة بَعْثِهم بعدَ ذلك للحِساب! فنَحْنُ خَلَقْناهُم ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ مِن مَنيٍّ مهينٍ، وذلك لا يؤهِّلُ لدخولِ جنان النَّعيم، بل الّذي يؤهِّل لذلك التَّكريم هو الإيمانُ والعمل الصّالح؛ فمَن رغِب في الجنَّة جادًّا آمَنَ والتزمَ الطّاعاتِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (الفاء) في قوله: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

الرَّوابط اللَّفظيَّة في القرآن الكريم دقيقَةُ الدّلالة، وثيقَةُ الرَّبْط

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ تفريعيّة، فرّع بها "تخصيصًا بعد تعميم، ورجْعًا إلى بدْءٍ؛ لأنَّهم مِن المستهزئين الّذين افْتُتِحت السّورة بسُؤالهم"[3]، أو فرَّع بها على ما أفاده في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾، والمعنى: أنَّ الّذين كفروا لا مَطْمَعَ لَهُم في دخول الجنَّة، فماذا يريدونَ بتجمُّعِهم حولك بملامحِ استهزائهم؟[4].

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1585.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 212.
(3) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 16/ 22.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 175.

وذلك أنَّ "رسولَ الله ﷺ كان يُصَلّي عند الكعبةِ أحيانًا ويقرأ القرآن، فكانَ كثيرٌ مِنَ الكفّار يقومون مِن مجالِسِهِم مُسرِعين إليهِ يَتَسَمَّعونَ قِراءتَه، ويقول بعضُهم لبعض: شاعرٌ، وكاهن، ومفتَرٍ، وغير ذلك"[1].

معنى (ما) في قوله: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وغرضُ الاستفهامِ في الآيَةِ:

(ما) في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ استفهاميَّة، والمقصودُ بالاستفهامِ الإنكارُ على الّذين كفروا إهطاعَهُم قِبلَه ﷺ، والتَّعجيبُ "من تصرُّفاتهم الّتي تدُلُّ على مُنْتَهى الغَفْلَةِ والجَهْلِ"[2]، والمعنى: "فما شأنُ الّذين كفروا باللهِ قِبَلَك يا مُحَمّدُ مُهْطِعين؟!"[3]. وفيها ذمٌّ لهم، وإزراءٌ عليهم، وتهديدٌ لَهُم.

التَّعجيب من حالِ الكُفّار وذَمُّهُم وتَهْديدُهُم

معنى (اللّام) في ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ولطيفَةُ رَسْمِها مفصولَةً عَن معمولها:

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ للاختصاص، والمعنى: "فأيُّ شيء ثبَت لَهُم وحمَلَهُم على النَّظر إليك والتَّفرّق"[4]، أو أنَّ المعنى: أيُّ شيء يختصّون به دون غيرهم أوصَلَهم إلى تلكَ الحالِ؟.

قَطْعُ الكُفّارُ صِلَةَ قلوبِهم برسول الله ﷺ؛ فقَطَعَ اللهُ تعالى طمَعَهم في دخول الجنَّةِ

و"تركيب (ما له) لا يخلو مِن حالٍ مفرَدة، أو جملةٍ بعدَ الاستفهام؛ تكون هي مصبَّ الاستفهام. فيَجوزُ أن تكون الحالُ المتوجِّهُ إليها الاستفهامُ هنا الظَّرفَ ﴿قِبَلَكَ﴾؛ فيكون ظرفًا مستقرًّا، وصاحبُ الحال هو ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ويجوزُ أن تكونَ الحالُ ﴿مُهْطِعِينَ﴾، فيكون ﴿قِبَلَكَ﴾ ظَرْفًا متعلِّقا بـ ﴿مُهْطِعِينَ﴾.

وعلى كلا الوَجْهَيْن هُما مثارُ التَّعجيب مِن حالهم، فأيُّهما جُعِل

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 370.
(2) الطنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 104.
(3) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 277.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 218.

محلَّ التَّعجيب؛ أُجْري الآخرُ المُجرَى اللّائقَ به في التَّركيب. وكُتِبَتِ اللّامُ الدّاخلةُ على (الّذين) في المصحف مفصولةً عَن مدخولها، وهو رسْمٌ نادِرٌ"[1].

ومن لطائف فصل (اللّام) في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ما وُفِّق إليه الزَّركشيُّ حيث يقول: "هؤلاء الكفّار تفرّقوا جماعاتٍ مختلفاتٍ، كما يدلُّ عليه: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾، قَطَعوا وصْلهم في قلوبهم بمحمَّد ﷺ فقَطَع اللّهُ تعالى طمَعَهم في دخول الجنَّة، ولذلك قُطِعَت (اللّام)؛ علامةً عليه"[2].

وقال الأشمونيُّ: "وجهُ الانفصال ما حكاهُ الكِسائيُّ مِن أنَّ (مالِ) فيها جاريَةٌ مَجْرى: (ما بال)، و(ما شأن)، وأنَّ قوله: مالِ زَيْدٍ، وما بالُ زيدٍ؛ بمعنًى واحد"[3].

علَّةُ التَّعبير بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:

التَّعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ يُفسح التَّركيبَ لذِكر خصوصيّاتٍ ودلالاتٍ لا تُتاح مع الاسْم الصَّريح (الكافرين)؛ منها: عُنْصُر التَّشويق الحاصل بإبْهام المَوْصولِ، ومِنْها: دلالَةُ المُضيّ في جُمْلَةِ الصِّلة ﴿كَفَرُواْ﴾، بخلاف التَّصريح بلفظِ (الكافرين)؛ فإنَّهُ مُجَرَّدٌ من ذلك.

التَّعبير بالموصولِ يُفسح التَّركيبَ لخصوصيّاتٍ ودلالاتٍ لا يُتيحُها الاسْمُ الصَّريح

والمُراد بالّذين كفروا هنا "المُشْركونَ، الّذين دخَلوا في الحُكْم الّذي أشارَ إليهِ قولُه تعالى في الآيات السّابقة: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾"[4].

دلالَةُ التَّعبير بالكُفر في جُمْلَةِ الصِّلة ﴿كَفَرُواْ﴾:

في إيثار النَّظْمِ الكريم التَّعبيرَ في جملة الصِّلة - ﴿كَفَرُواْ﴾ -

الكُفْرُ أعمُّ من الشِّرْكِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 176.
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 1/ 422.
(3) الأشموني، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء، ص: 218.
(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 15/ 1188.

بالكُفْرِ دونَ الشِّرك مناسَبَة للسّياق؛ إذِ السّياق لِذكر كُفْرِ المُهْطِعين المُسْتَهْزِئين المُكَذّبين بالدّين، الذين يطمعونَ في سَتْرِ الحقيقَةِ وطَمْسِ الحَقِّ، والتَّمويه على صِدْقِ الرِّسالة والرَّسول ﷺ، وهذا الوصفُ يصلُحُ لجميع أصنافِ الكُفْرِ؛ مشركينَ كانوا أو كتابيّينَ، واللَّفْظُ الجامِعُ لهؤلاءِ هو لفظُ الكُفْرِ، كما يدلُّ عليه قول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة: 1].

دلالَةُ التَّعبير بالظَّرْفِ ﴿قِبَلَكَ﴾ على الحالِ ﴿مُهْطِعِينَ﴾:

﴿قِبَلَكَ﴾ ظرفٌ، بمعنى: جِهَتَكَ، ونَحْوَكَ، أو هو "اسم بِمَعْنى: عِنْدَ"[1]. وفي تقديمه على الحالِ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ دلالَةٌ على تعلّق خِداعِهم وكذِبِهم واسْتِهْزائِهم بتِلْكَ الجِهَةِ، التي يُنْشَر مِن قِبَلِها نورُ الله تعالى في الأرض، ففي تقديمِه تنبيهٌ إلى مَكْمَن الإنكار، وداعي التَّحذير، وبيان مكانَته ﷺ؛ فهو مُمَثِّل الدّين وحاملُ لواءِ الرِّسالة، ومَوْقِفُهُم منهُ موقِفٌ في الأساسِ مِنَ الدّين والرِّسالة، وإلّا فهو ﷺ عِنْدَهُم قبلَ البِعْثَةِ الصّادقُ الأمينُ.

سـوءُ الأدَبِ في حَـضْـرَةِ النَّـبـيِّ ﷺ غـايـةُ الوقاحَةِ

كما أنَّ تقديمَ الظَّرف على ﴿مُهْطِعِينَ﴾ يُرادُ به الاهتمام بهُ؛ "لأنَّ التَّعجيب من حالهم في حَضرة النَّبيِّ ﷺ أقوى لِما فيهم مِن الوقاحَة"[2]،

بيانُ مَرْجِع ضميرِ الخِطاب في قولِهِ: ﴿قِبَلَكَ﴾:

المُخاطَبُ بالضَّمير في ﴿قِبَلَكَ﴾ هو النَّبيُّ ﷺ، والمقصودُ بخطابه التَّعريضُ بتَهْديدِهم وتَحْذيرِهم مِمّا هُم عليه مِن كُفْرٍ، "فالمقصودُ به إبلاغُه إليهم فيما يَتلو عليهِم مِن القرآن، فَهو موجَّه إليهم في المَعْنى، كَما يدُلُّ عليهِ تَنْهيَتُه بحرف الرَّدْع ﴿كَلَّآ﴾، فهو لا يُناسِبُ أن يكون إعلامًا للنَّبيِّ ﷺ لذلك؛ لأنَّه شيءٌ مقرَّرٌ في عِلْمِه[3].

المخاطَب أصالةً بالقُرآنِ الكريمِ هوَ الرَّسولُ ﷺ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 176.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 176.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 175.

دلالَةُ التَّعبير بالإهْطاعِ، وبلاغَةُ الكِنايَةِ فيه، ونكتَةُ صَوْغِهِ اسمَ فاعل:

الصّور البَيانيَّةُ في الذِّكرِ الحَكيمِ تُـبْرِزُ المعـانيَ المجرَّدةَ في قالبِ مـشاهـدَ حيَّـةٍ نابضَةٍ

الإهطاعُ: السَّير بسُرْعَةٍ مع مدِّ العنُق، واتّجاه البصَر نحوَ شيءٍ مُعَيَّن[1]، والنّظر من غيرِ أن يَطْرِفَ، ولا يَرْفَعُ رأسَه[2]، وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ - بصيغَةِ اسمِ الفاعلِ -؛ أي: مسرعين للحُضور؛ ليَظْفَروا بِما يتَّخذونه هُزُؤًا[3]، عامِدين، مُنْطَلِقين[4]، نَظَرُهم قِبَلَ داعيهم[5].

وقد كان الكُفّار يَسْتَمِعون إليه ﷺ؛ ليَجِدوا مَوْضِعَ الطَّعْن فيه. وقالَ بَعْضُهُمْ: استمِعوا إليه ليُروا الضَّعَفَة والأتْباع أنَّهم إنَّما يَطعنون فيهِ بعدما اسْتَمعوا إليه وعرَفوه؛ فيقَع عندَهُم أنّ الطَّعن كان عن عِلْمٍ ورَوِيَّةٍ وفِكْرٍ[6].

والتَّعبير بالإهطاعِ في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ يُشكِّل بالكناية صورةً كاشفَةً عَن قُبح مَنْظَر هؤلاء المنافقينَ، وهُم يُسْرِعون نحوَ رسولِ الله ﷺ، وكذلك وهُم جُلوسٌ حوْلَه، مادّين أعناقَهم، شاخصةً أبصارُهم، لا تَطْرُف أعينُهم، كأنَّهم خُشُب مسنَّدة، أو أصنامٌ مثبَّتة، وكأنَّهم سباعٌ تتربّص بفَريسَةٍ، مع ما وراء ذلك من قُلوبٍ تَغْلي بالأحقادِ، تَنْتَظِرُ لعلّها تتصيّد ما يُمْكِنُ أن تُموِّه به على الدَّهماء، فيوهمون المُسْلِمين ظاهرًا، ويَمْكُرون بهم باطِنًا، لكنّ الله تعالى فَضَحَهُم وأخْزاهُم، وكشَف سِتْرَهُم.

وتلك الصّورة التَّعبيريَّة تشتمِلُ على أدقِّ التَّفاصيل، بحيثُ تُقيمُ في الأذهانِ معانيَها المجرَّدة كأنَّها مشاهدُ حيّةٌ نابِضَةٌ.

بلاغَة الاستعارةِ التّمثيليّة في قوله: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية:

دقَّـةُ البـيـانِ الـقُـرآنيِّ في تصويرِ المَعاني

في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ إلى قوله:

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 104.
(2) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 13/ 704.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 320.
(4) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 278.
(5) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 22/ 118.
(6) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 56.

﴿جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ يجوزُ أن يكونَ استعارَةً تَمْثيليَّةً؛ بحيث شُبِّه حالُهم في إسْراعِهم إلى النَّبيِّ ﷺ بحالِ مَن يُظَنُّ بهم الاجتماعُ لِطلب الهُدى وتَحصيل المَغْفِرَة؛ ليَدْخُلوا الجنَّة؛ لأنّ الشَّأن ألّا يَلتفَّ حولَ النَّبّي ﷺ إلّا طالبو الاهتداءِ بهديه. والاستفهامُ عَلى هذا مُسْتَعْمَلٌ في أصل معناهُ؛ لأنَّ التَّمثيليَّة تَجري في مَجْموعِ الكلام مع بَقاء كلماتِهِ عَلى حَقائِقِها[1].

معنى ﴿عَنِ﴾ في قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾:

﴿عَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ حرفٌ يَدُلُّ على مَعْنى الجِهَةِ، "مُتعلِّق بـ ﴿عِزِينَ﴾؛ أي: مُتفرِّقين عن جِهَتَي اليَمين والشِّمال، ويجوزُ أن يكونَ حالًا[2]، فقد كان الكُفّار يجتَمِعونَ حولَ الرَّسول ﷺ من جِهَةِ يمينِه ومِن جهة شماله يَسْتَمِعونَ القرآن ناظرينَ إليه مادّين أعناقَهُم ولا يَنْتَفِعون بشَيْءٍ، بَل يكذِّبونه ويَردّون عليه دعوتَه، فعجّب اللّهُ تعالى مِن حالِهم هَذا.

حـالُ الـكُـفّـار إزاءَ الدَّعـــوة الإســلامــيَّــة ودُعـاتـهـا يَدْعو إلى العَجَب

معنى (أل) في ﴿ٱلْيَمِينِ﴾ و﴿ٱلشِّمَالِ﴾، ودلالَةُ الاكتفاءِ بذِكْرِهِما:

(أل) في ﴿ٱلْيَمِينِ﴾ و﴿ٱلشِّمَالِ﴾ لتَعْريفِ العَهْدِ العلميِّ؛ أي: عن يمينِ النَّبيِّ ﷺ وعن شِمالِهِ، فالألفُ واللّام "عِوضٌ عَنِ المُضاف إليه"[3]؛ أي: عَن يَمينِكَ وشمالِكَ يا رَسولَ اللّه.

لأهـلِ الـحَـقِّ مـهـابَـةٌ تُـخـيـفُ قُـلـوبَ أهْـلِ الـبـاطِـل؛ فـيَـتَـحـاشَـوْنَ مواجَهَتَهُم

والمراد بذِكْرِ ﴿ٱلْيَمِينِ﴾ و﴿ٱلشِّمَالِ﴾ ما هوَ أعمُّ مِن ذلك؛ فيندرِجُ في ذلك الأمامُ والوراء، والمقصود: فما بالُهُم حوْلَك مُهْطِعين؟ واكتفى بذِكْرِ اليمين والشِّمال؛ لأنَّهما الجِهَتانِ اللَّتان يَغلب حُلولُهما[4]، والجلوسُ فيهِما حولَ الشَّخص[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 177.
(2) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 16/ 25.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 177.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 177.
(5) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 105.

وفي تَخْصيصِهما بالذِّكر إيحاءٌ بتَحاشي هؤلاء الكُفّار مواجهَتَهُ ﷺ في المجلسِ مهابَةً له؛ فإنَّ الكاذبَ الضَّعيف المنافق يَتحاشى مواجهةَ الحقِّ، ويَروغُ مِنْهُ ويزيغُ عَنْهُ.

دلالَةُ التَّعبير بـ ﴿عِزِينَ﴾ في قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾:

افـتراقُ قلوبِ الكُفّار وإنْ أظهروا اجتماعًا

من دقَّة التَّعبير القرآنيِّ هنا اصطفاءُ مُفْرَدَةِ ﴿عِزِينَ﴾؛ فإنها تعني: الجماعاتِ المُتَفرِّقةَ الّتي يَنْتَمي كلٌّ مِنْها إلى فِكْرٍ غيرِ الّذي تَنْتَمي إليه الأُخرى، بخلاف مُطْلَقِ (جماعات). والتَّفرُّق في ﴿عِزِينَ﴾ يحتمل التَّفرُّق الحسّيَّ، ويحتَمِلُ الفُرقة المعنويَّة؛ فإنَّ كُفّار قريشٍ تفرَّقت دَعاواهُم في الرَّسول ﷺ وإن أجْمَعوا على تكذيبِه، فمِنْهُم مَن قالَ: شاعِرٌ، ومنهم من قالَ: كاهِنٌ، ومنهم مَن قالَ: ساحِرٌ.

وهكذا يَصْطَفي النَّظم الكريم من مُفردات اللُّغة أدقَّها دلالةً على المَعْنى المَطْلوب التَّعبير عنه، فتبْرَع في سياقِها، وتتناغَم مع جاراتِها، وتُصيب بدقّةٍ أهدافَها.

و"أصل عِزَة: عِزْوَة، كأنَّ كُلَّ فرقةٍ تَعْتَزي إلى غيرِ مَن تعتزي إليه الأخرى؛ فهُم مُفْتَرِقون. كانَ المُشْرِكون يحتفّون حولَ النَّبيِّ ﷺ حِلَقًا وفِرَقًا يستمعون، ويستهزئون بكلامه، ويقولون: إنْ دخَل هؤلاء الجنَّة كما يقول محمَّدٌ؛ فلَنَدْخُلَنَّها قَبْلَهُم"[1].

علَّة فصل قوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ عمّا قبلهُ:

وشائِجُ القُرْبى بينَ التَّراكيب القرآنيَّة دقيقةٌ

فُصِلَ قول الله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ عن قوله: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾؛ لما بينَهما من كمال الاتِّصالِ؛ وذلك "لأنَّ جملة ﴿أَيَطْمَعُ﴾ "بدلُ اشْتِمالٍ عَن جُمْلَة ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾؛ لأنَّ التِفافهم حولَ النَّبيّ ﷺ شأنُه أنْ يكون لِطلب الهُدَى والنَّجاة؛ فشُبِّه حالُهُم بحالِ طالِبي النَّجاة والهدى؛ فأورِد استفهامٌ عليه"[2].

(1) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 539.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 177.

وكأنَّ قوله تعالى: ﴿أَيَطۡمَعُ﴾ استفهامٌ حقيقيٌّ؛ أي: أهُم حقًّا يَطمعون في دخولِ الجنَّة بناءً على ظاهر حالِهم مِن الالتفاف حولَكَ، والتَّركيز فيما تُدْلي إليهم بِهِ؟.

دلالةُ الهمزةِ في قولِهِ: ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ﴾ وغرضُها:

(الهمزة) في قوله تعالى: ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ﴾ حرفٌ دالٌّ على الاستفهام، وهيَ تَحْمِلُ معنى الإنكارِ على هؤلاء الّذين كفروا تَطَلُّعَهم إلى ذلك الجزاءِ الّذي لا يستحقّون، وتَنشر في نُفوسِهم معنى التَّيْئيس مِن نَيْلِهم ذلكَ؛ إذْ لَم يُقَدِّموا له مُقَدِّماتِه مِنَ الإيمانِ والعمَلِ الصّالح الّذي قدّمه المُصَلّون فاسْتَحَقّوه.

دخـولُ الجنَّة مـشـروطٌ بالإيمانِ والعَمَلِ الـصّـالـح، لا بِمُجَرَّد الأماني

والمعنى على النَّفي: لا يطمعُ كلُّ امرئ منهُم بعِبادَتِهِ الأصنامَ والأوثانَ أنْ يدخلَ جنَّة نعيم، ثُمَّ كيف يَطْمَعونَ في ذلك وهُم مُنْكِرونَ للبَعْثِ والجنَّة والنّار؟ وكيف وهُم ينصرونَ الأصنام ويعبدونَها، ويَخْضَعونَ لها؛ فيكون في هذا ترغيبٌ للمؤمنين على القيام بِنَصْر رسول الله ﷺ؛ كأنَّه المعنى: إنَّهم لا يطمعون نيلَ شيءٍ، ولا يخافون من شيءٍ في العاقبة، ثُمَّ يقومون بنَصْرِ الأصنام؛ فأنتُمْ أحقُّ بنَصْرِ رسول الله ﷺ؛ إذ تَطْمعون قي نَيْل الجنَّة والدُّخول فيها بِنَصْرِكم إيّاه[1].

وقد كان الكُفّار يقولون: (إنْ كان أصحابُ محمَّد يدخلون الجنَّة؛ فإنّا نَدْخُلُها قبلهم)[2]؛ فردَّ عليهم ﷺ: (أيطمع كلُّ رجُلٍ مِنْهُم أنْ يدخل جنَّتي، كما يدخلها المسلمونَ، ويتَنَعَّم فيها، وقد كذَّب بِنَبيّي؟ كلا! لا يكون ذلكَ)[3].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 212.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 354.
(3) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 354.

دلالَةُ التَّعبير بالطَّمَع، ونُكْتَةُ المُضارعَةِ في: ﴿أَيَطْمَعُ﴾:

طَلَبُ شيءٍ مِن غيرِ تعاطي أسبابِهِ غايَةُ السَّفه

الطَّمع: نزوعُ النَّفس إلى الشَّيء، والحرصُ عَلى حُصولِه، وهو مذموم؛ إن كانَ في أمور الدُّنيا، وصارفًا عن الآخرة[1]. وفي التَّعبير بمُفْرَدَةِ الطَّمع في قوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ﴾ دلالَةٌ عَلى عدَمِ اسْتِحْقاقِه، والطَّمع مستعمَلٌ في القرآن الكريم غالبًا فيما لا يكونُ، قال الله تعالى: ﴿*أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ [البقرة: 75]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥﴾ [المدّثّر: 15].

وقد يُسْتَعْمَلُ في الخير على وجهِ التَّأويل، فحين يطمَعُ المُؤْمِنُ مثلًا؛ فإنَّهُ يكونُ معتقدًا أنَّه لا يستحِقُّ بِعَمَلِه الضَّئيل ذلكَ الأجرَ الجَزيلَ الذي يطمَعُ في الظَّفر به، وإنَّما ذلك محضُ فضلِ الله تعالى عليه، كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السّجدة: 16]، وحكى ﷻ عن النَّصارى حين آمنوا قولَهُم: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٤﴾ [المائدة: 84].

وفي التَّعبير بالطَّمع "إشارةٌ إلى أنَّهم بَلَغوا الغايَةَ في السَّفه؛ لِكَوْنِهم طَلبوا أعزّ الأشياءِ مِن غيرِ سَبَبٍ تَعاطَوْه له"[2].

وصَوْغُ فِعْلِ الطَّمع مضارعًا في قوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ مطابقة لواقعِهم حينَها، ولكُلِّ طامعٍ في نيلِ خَيْرٍ لَم يتعاطَ أسبابَهُ مِنْ أهلِ كُلِّ جيلٍ وقَبيلٍ. وفي المُضارعَةِ - مع ذلك - تنبيهٌ على سُنوح الفُرصة، ودعوةٌ إلى اغتنامها قبلَ فواتها.

نُكْتَةُ إسنادِ الطَّمع إلى آحادِهِم في قوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾:

مَن طَمِعَ فيما لَم يقدّم أسبابَهُ؛ عرّض نفسَهُ للازْدِراءِ

في إسنادِ الطَّمع إلى آحادِهِم على وجْهِ التَّعديد والتَّفصيل في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ تهكُّمٌ بعُقولِهِم، وتعجيبٌ مِن فُجورِهِم

(1) الدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 170.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 413.

في هذا الطَّمع الواهِم المَغْرور، الّذي لَم يُقَدِّموا له أسبابَه؛ فالجنَّة غاليَةٌ، كما قال ﷺ: "ألا إنَّ سِلْعَةَ اللّهِ غاليَةٌ، ألا إنَّ سِلْعَةَ اللّهِ الجَنَّةُ"(1)، فكيف بِهِم وكيف لَهُم أن يَطْمَعوا في ذلك؟!.

كذلك أُسنِد الطَّمع إلى آحادِهِم على وجْهِ التَّعديد والتَّفصيل "تصويرًا لحالِهِم بأنَّها حالُ جماعَةٍ يُريد كُلُّ واحدٍ مِنْهُم أنْ يدخل الجنَّة لتَساويهِم، يَرَوْنَ أنفُسَهُم سواءً في ذلك، ففي قوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ تقويَةُ التَّهكُّم بهم"(2)، وفيه "إشعارٌ بأنَّ كلَّ واحدٍ مِن هؤلاء الكافرين كان طامِعًا في دُخولِها، لاستيلاءِ الغُرور والجهالةِ على قَلْبِه"(3). كما أنَّ فيهِ دلالةً على أنَّ إتيانَهم واقعٌ على هيئةِ التَّفرُّق مِن غيرِ انْتِظار جماعةٍ لأخرى، فقولُهُ تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: على انْفرادِهِ(4).

معنى ﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن يُدْخَلَ﴾:

﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ مصدريَّةٌ، والمَعْنى: أيطمَعُ كلُّ امرئٍ مِنْهُم، ويطلب دخولَ جنَّة نعيم؟ فإنَّ ذلك لا يكون إلّا بأثمانه وأسبابه، ولَم يُقَدِّموها فلا يدخلوها.

المصدرُ المؤوَّل يُتيح العبارةَ لِخُصوصيّاتٍ لا يُتيحها المصدرُ الصَّريحُ

وفي إيثارِ التَّعبير بالمصدر المؤوَّل ﴿أَن يُدْخَلَ﴾ على المَصْدَرِ الصَّريح (إدخال) تهيئةُ التَّركيب لعطاءِ المُضارعَةِ في الفعل ﴿يُدْخَلَ﴾، وذلك ما لا يُتيحُهُ المَصْدَرُ الصَّريح لو قيل - في غير القرآن الكريم -: يودُّ كلُّ امرئٍ مِنْهُم إدخالَهُ جنَّةَ نعيمٍ.

دلالَةُ التَّعبير بفعل الإدخالِ:

الكافر يأمَلُ الآمالَ الخادِعَةَ، ويعيشُ الأوهامَ الزّائِفَةَ

التَّعبير بفعل الإدخال في قوله تعالى: ﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾

(1) رواه الترمذي في جامعه، برقم: (2450)، وهو صحيح كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني، برقم: (6222).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 178.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 105.

(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 414.

يعني تَصْييرَهُ فيها، والسَّماحَ لهُ بِدُخولِها؛ حيث يقال: دخَل الشَّيءَ؛ أي: نفَذَ إلى داخله، وأدخَلَه المكانَ وغيرَه، وأدخله في المكانِ وغيرِه: صيّره داخِلَه، وسمَحَ له بالدّخول، عكس: أخرجَه[1].

فائدة مجيء فعل الإدخال مضارعًا مبنيًّا للمفعول:

وفي التَّعبير بفِعْلِ الإدخال مبنيًّا للمَجْهولِ في قوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ إشارةٌ إلى الدّلال الخادِع، فـ ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ لا يطمَعُ أن يَدْخُلَ بنفسِه؛ لسوءِ عملِه، بل أنْ يُدخَل بفِعْلِ غيرِه.

والمضارَعَةُ فيه تُفيد استحضارَ إدخالِه، وكأنَّه صار واقِعًا مضمونًا عندَهُ، يقومُ تصوُّرُه الآنَ في وهْمِه، وقد كان الكفّار يقولون: "إنْ دخَلَ هؤلاء الجنَّة كما يقول محمَّد ﷺ؛ فلَنَدْخُلَنَّها قبلَهُم"[2] على التَّأكيد والقَطْعِ.

دلالَةُ التَّعبير بـ ﴿جَنَّةَ﴾، ولطيفَةُ إضافَتِها إلى ﴿نَعِيمٍ﴾:

بلوغُ الكافِرِ في الطَّمَعِ المَذْمومِ مَبْلَغًا شديدًا

التَّعبير بلفظِ ﴿جَنَّةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ أيْ: "بستانَ إكرامٍ وتنعُّم"[3]، و"النَّعيم: ضِدُّ البُؤْس، والمعنى: أيطمَعُ كُلُّ رجُلٍ مِنْهُم أنْ يدخل جَنَّتي كما يدخُلُها المُسْلِمون!"[4].

وفي إضافة لفظِ ﴿جَنَّةَ﴾ إلى ﴿نَعِيمٍ﴾ إيحاءٌ ببلوغِ طمَعِ الكافِرِ مَبْلَغَ التَّبجُّح[5] بالطَّمع في إدخاله الجَنَّة "لا شيء فيها غير النَّعيم في كلِّ ما فيها على تَقْديرِ ضَبْطِه"[6].

---

(1) أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (دخل).
(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 539.
(3) الجزائري، أيسر التفاسير: 5/ 437.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 647.
(5) التَّبجُّح: جُرأة مُستهجَنة وسوء أدب، وسلاطة لسان، يُنظر: أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (بجح).
(6) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 414.

بلاغةُ أُسلوبِ الحَكيم في الآية:

إنكارُ تَظاهُرِ المشركينَ بِطَمَعِهم في دُخولِ الجنَّة

حكى المُفَسِّرون أنَّ المُشْركينَ قالوا على وجهِ الاستهزاءِ: نحنُ نَدْخُل الجَنَّة قبلَ المُسْلِمين، فجازَ أن يكون الاستفهامُ ﴿أَيَطْمَعُ﴾ إنكارًا لِتَظاهُرهم بالطَّمع في الجنَّة؛ بِحَمْل استهزائِهم على خلافِ مُرادِهم - على طريقَةِ أسلوبِ الحَكيم -، أو بالتَّعبير بفِعْلِ (يطمع) عن التَّظاهر بالطَّمع كما في قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [التّوبة: 64] أيْ: يتَظاهَرونَ بأنَّهم يَحْذَرون[1].

علَّة فَصْلِ جُمْلَةِ ﴿كَلَّآ﴾ عمّا قبلها:

الـرَّدُّ على من طَمِعَ في دُخولِ الجنَّة ولَم يُقَدِّم أسبابَ ذلكَ

فُصِلَ قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ عن قوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ﴾؛ لِكَمالِ الانقطاع بينهما؛ لاختلافهما خبرًا وإنشاءً؛ حيث إنَّ ﴿كَلَّآ﴾ تقوم مقام الجملةِ الخبريَّةِ، وجملة ﴿أَيَطْمَعُ﴾ استفهاميَّةٌ؛ أي: كلّا لن يُدخَل جنَّة نعيم؛ لأنَّه لم يتَّخذ أسبابها مِن إيمان وعمل صالحٍ، بَل عانَدَ وكذّب وتصدَّى للدَّعوة والدّاعي ﷺ.

"ثُمَّ بُنِي على التَّهكُّم ما يُبطِل ما فُرِض لحالِهم بما بُنِي عليهِ التَّمثيلُ التَّهكُّميّ بكلمة الرَّدع وهي ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لا يكونُ ذلك. وذلك انتقالٌ مِنَ المَجاز إلى الحقيقَةِ، ومِنَ التَّهكُّم بِهِم إلى توبيخِهم؛ دفعًا لتَوَهُّم مَن يَتَوَهَّم أنَّ الكلام السّابق لم يكُن تَهَكُّما"[2].

دلالَةُ ﴿كَلَّآ﴾ في قَوْلِهِ: ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾:

(كلّا) أُمُّ الزَّواجِرِ والرَّوادِعِ

﴿كَلَّآ﴾ أمُّ الزَّواجر والرَّوادع[3]، ففيها ردعٌ لكلِّ امرئٍ منهم عن طَمَعِه في دخول الجنَّة[4]، وهي تقومُ مقامَ جُمْلَةِ الجوابِ كاملَةً، ومعناها هنا:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 177.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 178.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 414.
(4) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 540.

(لا)، ففيها "ردٌّ لاعتقادهم، وقطعٌ لأطماعهم؛ أي: لا يَدْخُلونَها"[1]، وأنَّه "ليس الأمْرُ بأمانيِّهم، ولا إدراكُ ما يَشْتَهونَ بقوَّتهم"[2].

علَّةُ فَصْلِ قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾:

الاستدلالُ بِالمَبْدَأِ عَلى المعادِ

فُصلَ قول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ عن جملة النَّفي والرَّدع ﴿كَلَّآ﴾؛ لأنَّهُ "كلام مستأنَف استئنافًا ابتدائيًّا؛ للانتقال مِن إثباتِ الجَزاء إلى الاحتجاجِ على إمكانِ البَعْث؛ إبطالًا لشُبْهَتِهم الباعِثَة على إنكاره، وهو الإنكارُ الّذي ذُكِرَ إجمالًا بقوله المتقدِّم آنفا: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾؛ فاحتجَّ عليهم بالنَّشأة الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [الواقعة: 62]، فالخبر بقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ مُسْتَعْمَلٌ في لازمِ معناهُ؛ وهو إثباتُ إعادَةِ خَلْقِهم بعدَ فنائِهم. فهذا مِن تمام الخِطاب الموَجَّه إلى النَّبيِّ ﷺ، والمقصودُ منهُ: أنْ يَبْلُغَ إلى أسماعِ المُشْرِكينَ. والمعنى: إنّا خلقنا الإنسانَ مِن نُطْفَةٍ حتّى صار إنسانًا عاقلا مُناظِرًا، فكذلك نعيدُ خَلْقَهُ[3].

معنى (إنّ)، وغرضُ توكيدِ الخبَرِ في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾:

مَن كان خَلْقُه من ماءٍ مهينٍ؛ لا يليقُ بهِ - إن كان عاقلًا - أن يَغْتَرَّ أو يَتَطاوَلَ

(إنّ) في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ حرفٌ دالٌّ على التَّوكيدِ لِخَبر خَلْقه تعالى هؤلاء الواهِمين مِن نُطَفٍ قذِرة وهُم لا يُنكرونه، ومع ذلك أُكِّد الخبَرُ تقريرًا للتَّعجيب من شأنهم، وسوءِ أدبِهم في طلَبِ الجنَّة بلا إيمان ولا عمَلٍ صالح، وكذلك في التَّوكيد هنا تُهْمَةٌ لَهُم بجَهْلِهم لأصلهم، وكأنَّهم يُنْكِرونَهُ.

وجملَةُ ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ "تأكيدٌ للرَّدع والزَّجر في ﴿كَلَّآ﴾، وتهوينٌ مِن شأنِهم، وإبطالٌ لِغُرورِهم، وتَنْكيسٌ لخُيَلائِهم

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 213.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 888.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 178.

بأسلوبٍ بديعٍ مُهَذَّب؛ لأنَّه ممّا لا شكّ فيه أنَّهم يعلمون أنَّهم قد خُلِقوا مِن ماءٍ مهينٍ، ومَن كانَ كذلكَ؛ فلا يليقُ بهِ - متى كان عاقلًا - أن يغترَّ أو يتطاولَ"[1]، "ومجيءُ ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم﴾ مؤكَّدا بِحرفِ التَّأكيد؛ لِتنزيلهم - فيما صدَرَ منهُم مِنَ الشُّبهة الباطلة - منزلةَ مَن لا يعلمون أنَّهم خُلِقوا مِن نطفة، وكانوا معدومين، فكيف أحالوا إعادةَ خَلقهم بعدَ أن عُدِم بعضُ أجزائِهم وبَقيَ بعضُها؟"[2].

دِلالَةُ التّعبيرِ بِضَميرِ العَظَمَةِ في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم﴾:

في التَّعبير بضمير العظمَةِ وإسنادِ خَلْقِهم إليهِ في قوله تَعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ تذكيرٌ لَهُم بعظمَتِه ﷻ، وعظيم منّتِه عليهم بخَلْقِهم وإيجادِهم، وذلك مِن شأنه أن يُخْجِلَهُم ويَزْجُرَهم عن التَّكذيب بالدّين، وعن إيذاء رسولِهِ ﷺ الأمين، وعن طَمَعِهم الخادعِ إلى أن يُدْخَلوا ﴿جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ دون بذلِ أسبابِها.

العظيمُ سُبْحانَهُ قادِرٌ على إعادَةِ الخَلْقِ كَما بدأهُ مِنَ العدَمِ

والمعنى: "﴿إِنَّا﴾ على ما لنا مِنَ العظمَةِ ﴿خَلَقْنَاهُم﴾ بالعظمة الّتي لا يَقدر أحدٌ أن يُقاوِيَها فيصرفَ شيئًا من إرادتِهِ عَن تلك الوجهةِ الّتي وجَّهْتُه إليها إلى غيرِها"[3].

دلالَةُ التَّعبير بِفِعْلِ الخَلْقِ ماضيًا في قوله: ﴿خَلَقْنَاهُم﴾:

في التَّعبير بفِعْلِ الخَلْقِ في قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ دلالةٌ على دقّة تقدير الموجِدِ ﷻ ذلكَ الإنسانَ المُتعاظِمَ مِن نُطْفَةٍ قذِرَةٍ. ويُسْتَعْمَلُ الخَلْقُ في إبداع الشَّيء من غير أصلٍ يُقاس عليه ولا احتذاء؛ فقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أبْدَعْنا تكوينَه بتقديرٍ دقيقٍ ابتداءً بلا قياسٍ على مثالٍ سابقٍ.

الخَلْقُ إبداعٌ مِن غيرِ احتذاءٍ، وليسَ ذلكَ إلّا لله تعالى

وقد يُسْتَعْمَلُ الخَلْقُ في إيجاد الشَّيء من الشَّيء، كما قال تعالى:

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 105.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 179.
(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 414.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النّساء: 1]. وليس الخلق بمعنى الإبداع إلّا لله تعالى، ولهذا قال تعالى في الفَصْلِ بينَه وبين غيره: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النّحل: 17][1].

دلالةُ إسنادِ الفِعْلِ (خلق) إلى ضميرِ العَظَمَةِ في قوله: ﴿خَلَقْنَاهُم﴾:

الإيذانُ بيُسْرِ إحياءِ العباد يومَ القيامَةِ للحِسابِ

في إسناد خَلْقِ الكُفّار إلى ضمير العظمةِ في قول الله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ إيذانٌ بقُدْرَته على إهْلاكِهم، فوجودُهم بإذنٍ منه سُبْحانَهُ، وإن شاءَ أخذَهُم. كما أنَّ فيه إيذانًا بيُسْرِ إحيائهم يومَ القيامَة للحساب، فمَن خلَقَ مِن العدَمِ قادِرٌ على الإحياء من العدَمِ مرَّة أُخْرى.

معنى (مِنْ) في قوله: ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾:

مبتدأُ خَلْقِ الإنسانِ مِنَ الحَقارَةِ بِما لا يؤهِّله لدارِ السَّعادةِ إلّا بالتّحلّي بالإيمان

(مِنْ) في قوله: ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ حرفٌ دالٌّ على الابتداءِ، وهي تدُلُّ على أنَّ ابتداءَ خَلْقِهم كانَ مِن تلك النُّطفة الصَّغيرة الحقيرة؛ فلا حَقَّ لهُم في ذلك الاستكبارِ والتَّكذيب، ولا مَطْمَح لهُم في دخولِ دار السَّعادَةِ إلّا بالإيمان، فعليهم ألّا يَنْسَوا مبدأهُم، وأن يَخْجَلوا مِن أنفُسِهم، وأن يَخافوا مِنَ الله تعالى، القادرِ على إهلاكهم، كما خَلَقَهُم وأوجدهم مِن العَدَمِ.

عِلّة التّعبير بالموصول في قوله: ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾:

التّعبير بالموصولِ يُغَلِّفُ ما يَخْدُشُ مِنَ المعاني

في التّعبير بالموصولِ (ما) في قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ مظهَرٌ من مظاهِر العِفَّة القرآنيَّة؛ فعلى الرُّغْمِ مِنْ أنّ المقام لإهانَتِهم وتأديبهم؛ فإنَّهُ لم يتجاوَزِ اللَّفظُ المعبِّر عن ذلك التَّعبير المستور العفيف إلى التَّصريح بالقبيح، فيقول مثلا: "إنّا خَلَقْناهم من مَنيٍّ قذرٍ، وإنَّما يَسْتَوجِبُ دخولَ الجنَّةِ مَن يَسْتَوجِبُه منهم بالطّاعة لا بأنَّه مخلوقٌ، فكيفَ يَطْمَعون في دخول الجنَّة وهُم عصاةٌ كفرةٌ؟"[2].

(1) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: 2/ 566.
(2) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 282.

ففاحتْ الدّلالة المُزْريَةُ بهم من التَّركيب الظّاهرِ، كأنَّه قد صُرِّح بها، وقد قال عبد القاهر الجرجانيُّ في مثل ذلك السّتر المعبّر: "فإنَّكَ ترى به تَرْكَ الذِّكْر أفْصَحَ من الذِّكْرِ، والصّمتَ عن الإفادةِ أزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبِنْ"[1]؛ و"في التَّعبير عن مادَّة خلْقِهم بـ (ما يعلمون) ممّا يَكسر سَوْرَة المُتَكَبِّرين ما لا يَخْفى"[2].

دلالَةُ التَّعبير بالعِلْمِ، ولطيفَةُ صَوْغِه مُضارِعًا في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾:

العِلم هو معرفَةُ الشَّيء على ما هو به[3]؛ ففي التَّعبير بالعِلم في جُمْلَةِ الصِّلة ﴿يَعْلَمُونَ﴾ إخجالٌ لهَؤلاءِ الكافرين؛ لِمَعْرِفَتِهم أصلَ مَنْبَتِهم على ما هو مِنَ الحقارة والضَّآلة، فباصْطِفاء مفردةِ العِلْم يومئُ النَّظم الكريمُ إلى موضعِ إيلامِهم، ويُزَلْزِل كيانَهُم، ولا يجدونَ مِنْه مَفْلَتًا، ويكسرُهُم كسرًا لا التئام لَهُ إلّا بالتَّخلّي عن التَّكذيب، والانضمام إلى مواكب الإيمانِ.

مِن براعة البيانِ القُرآنيّ الإيماءُ إلى مواضع إيلامِ الكافرينَ وكَسْر كبريائِهِم

وفي التَّلويح بأصْلِ خَلْقِهم توجيهٌ لأذهانهم لِأنْ "يعلَموا أنَّ مَن قَدر على إنشائهم لَقادرٌ على أنْ يُحْيِيَهُم بعدَما أفناهم"[4].

نُكْتَةُ حذفِ مفعولِ العِلم في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾:

حذْف مفعولِ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ وهو العائدُ، والتَّقدير: ممّا يعلمونَهُ، وحذفُ العائدِ جائزٌ في مثلِ هذا؛ لكونِهِ ضميرًا في محلِّ نصبٍ بالفِعْلِ.

البيانُ القرآنيُّ يعفّ عن الألفاظِ الخادِشَةِ، معَ القُدْرَةِ على توصيلِ المَقْصودِ وتحقيقِ الغرَضِ

ومتعلّق فعل العِلْم محذوفٌ أيضًا، وتقديره: خلقناهم ممّا يعلمونَهُ منَ ""المقاذِرِ والأنجاس؛ أي: فمتى يدخلون الجنَّة، ولم يُؤْمِنوا بي، ولم يُصَدِّقوا رسولي؟ نبّه النّاس بهذا على أنَّ النّاس كلَّهُم مِن أصلٍ واحِدٍ، وإنَّما يَتفاضَلونَ بالإيمانِ والطّاعَةِ"[5].

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز: 1/ 146.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 73.
(3) التوحيدي، البصائر والذخائر: 2/ 209.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 213.
(5) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 354.

فـ "أبهم وأخفى: إشعارًا بأنَّه مَنْصِبٌ يُسْتَحْيا مِن ذِكْرِه، فمِن أينَ يتَشَرَّفون ويدَّعون التَّقدُّم، ويقولون: لَنَدْخُلَنَّ الجنَّة قَبلهم؟ وقيل: معناه إنّا خلقناهُم مِن نُطْفَةٍ، كما خلقنا بني آدمَ كُلَّهُم، ومِن حُكْمِنا ألّا يَدْخُلَ أحَدٌ منهُم الجنَّة إلّا بالإيمانِ والعمَلِ الصّالح، فلم يَطْمَع أنْ يَدْخُلَها مَن ليسَ لَهُ إيمانٌ وعمَلٌ"(1).

فالمحذوفُ "ممّا يُسْتَحى مِن ذِكره ذاتًا ومعنًى، أمّا الذّات فهو نطفةٌ مَذِرَةٌ أُخْرِجَت من مخرج البول، وغذَّيناها بدم الحَيْضِ، فهي يتحلّب منها البولُ والعذرة، وأمّا المعنى فالهلَعُ والجزَع والمَنْعُ اللّاتي هم موافِقون على عدِّها نقائصَ، فلا يَصْلُحون لدار الكمالِ إلّا بتزكية أنفُسِهم بما تقدَّم مِن هذه الخِلال التي حضَّ عليها الملكُ المُتعال"(2).

وعن بُسْر بن جَحّاشٍ القُرشيِّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ بَزَقَ يَوْمًا في كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْها أُصْبُعَهُ، ثُمَّ قالَ: "قالَ اللّهُ: ابْنَ آدَمَ أنَّى تُعْجِزُني وقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إذا سَوَّيْتُكَ وعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ ولِلْأرْضِ مِنْكَ وئِيدٌ، فَجَمَعْتَ ومَنَعْتَ، حَتَّى إذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ؛ قُلْتَ: أتَصَدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصَّدَقَةِ"(3).

وفي التَّعريض بأصلِ خَلْقِهم "تهكُّمٌ بهم؛ إذ جادَلوا وعانَدوا، وعِلْمُ ما جادَلوا فيه قائِمٌ بأنفسهم وهم لا يشعرون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: 62]، وكان في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ إيماءٌ إلى أنَّهم يُخْلَقونَ الخلْقَ الثّاني ممّا لا يعلمون، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس: 36]، وقال: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الواقعة: 61]، فكان في الخَلْقِ الأوَّل سِرٌّ لا يعلمونَهُ"(4).

كذلك في التَّعريض بأصل خَلْقهم "إثباتُ القُدْرَةِ على البعث، والمَعْنى: إنّا كما قدرنا على خَلْقِهم مِن ماءٍ؛ نَقْدر على إعادتهم"(5)؛ ففيه "اسْتِدْلالٌ بالنَّشأة الأولى على إمكان النَّشأة الثّانية الّتي بَنَوْا الطَّمع على فرضِها فرضًا مُحالًا عندَهُم"(6).

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 614.
(2) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 20/ 415.
(3) رواه أحمد في مسنده، برقم: (17842)، وحسَّن إسنادَهُ محققو المسند: 29/ 385.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 179.
(5) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 16/ 26.
(6) القِنّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 14/ 321.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإهطاع والإسراع:

الإهطاعُ الإسراعُ على وجهِ الإقبالِ والـــخَـــوْفِ، والإسراعُ مُطْلَقٌ مِنْهُما

فسَّر أبو عبيدةَ ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ [القمر: 8] في قوله تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾ [القمر: 8] بـ: مسرعين مُقْبِلين خائفين[1]. ولا يكون الإهطاعُ إلّا معَ خوْفٍ، ويقال: هَطَعَ وأهطع، بمَعْنى: أسرع مقبلًا خائفًا[2]، أمّا الإسراعُ؛ فلا يُشْتَرَطُ فيه قيدُ الخوفِ ولا الإقبالِ، فكان الإهطاعُ بهذا التَّقريرِ أخصَّ من الإسراعِ مطلقًا، فكلُّ إهطاعٍ إسراعٌ، وليس كلُّ إسراعٍ إهطاعًا.

الطَّمع والرَّجاء:

الطَّمع تطلُّعٌ إلى نوالِ الخير بغير أسبابِهِ غالبًا فيُذَّم، والرَّجاء تطلُّعٌ إليهِ بأسبابِهِ فيُمدَح

الرَّجاء هو الظَّنُّ بوقوع الخير الّذي يعْتَري صاحبَهُ الشَّكّ فيه، إلّا أنَّ ظنَّه أغلبُ، وليس هو من قَبيلِ العِلْم، فلا يُقال: أرجو أن يدخُلَ النَّبيُّ الجنَّة؛ لكون ذلك متيَقَّنًا، ويقال: أَرجو أن يدخُلَ فلانٌ الجنَّة؛ إذا لم يُعْلَم ذلك. والرَّجاء: الأملُ في الخير، والخشيَة: الخوفُ في الشَّرِّ؛ لأنَّهما يكونان مع الشَّكِّ في المرجوِّ والمخوف، ولا يكون الرَّجاء إلّا عن سبَبٍ يَدْعو إليهِ مِن كرَمِ المَرْجوِّ أو نحوِ ذلكَ.

والطَّمَعُ ما يكون مِن غيرِ سبَبٍ يَدْعو إليه، فإذا طَمِعْتَ في الشَّيء؛ فكأنَّك حدَّثت نفسَك به من غيرِ أن يكون هناك سببٌ يَدْعو إليه؛ ولهذا ذُمَّ الطَّمعُ ولم يُذمّ الرَّجاء. والطَّمع يتعدّى إلى المفعولِ بحرفٍ، فتقول: طَمِعْتُ فيه، كما تقولُ: فرِقْت منه، وحذِرْتُ مِنْهُ[3]. على أنَّ الطَّمَعَ قد يَرِدُ مستعملًا مع بذلِ سببِ ما طُمِعَ فيه، كالوارِدِ في قول الله تعالى حكايةً عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشُّعراء: 82].

---

(1) الذي في مجاز القرآن لأبي عبيدة أنَّه فسَّر ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ بـ: (مسرعين) فحسبُ، وذلك في مواضعها الثَّلاثة من القرآن الكريم، يُنظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/ 342 و2/ 240 و2/ 270.

(2) مكيُّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 11/ 7187.

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 244.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"